

الحلقة الخامسة عشرة

كلمات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

هناك مقولة شائعة نقول أن جميع أتباع الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلامية هم من أتباع أو أولاد إبراهيم. فما مدى صحة هذه المقولة؟ وماذا نقول كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس عنها؟ هل تؤيدها أم تقدّم لنا نظرة أخرى عن الموضوع؟ عالج الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل هذا الموضوع بكل تفصيل، وكان يريد في ذلك على اليهود الذين آمنوا بالمسيح، وأرادوا في نفس الوقت أن يتمسكوا بالشرعية التي أعطاه الله لكلّيه موسى. فأوضح لهم أن أولاد إبراهيم هم الذين يؤمنون فقط بالمسيح، ولا علاقة لذلك بالشرعية أو الناموس. فكتب قائلاً:

«كَمَا «آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا». اَعْلَمُوا إِذَا أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْلَادُكُمْ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ. وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ يُبَرِّرُ الْأُمَّمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الْأُمَّمِ». إِذَا الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِينَ... لِأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ». وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللَّهِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ «النَّبَارَ بِالْإِيمَانِ يَحْيَا». وَلَكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ، بَلِ «الْإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا». الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ غُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَّمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالْإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ» (غلاطية ٣: ٦-٤) سننأمل الآن بهذه الآيات المعبرة الهامة فابقوا معنا أعزائي.

صديقي المستمع، لكي يرد الرسول بولس على أولئك الذين أرادوا التمسك بالشرعية التي أعطاه الله لكلّيه موسى، قدّم مثلاً عن إبراهيم الخليل. فقال إن إبراهيم والذي كان موجوداً قبل أن يعطي الله الناموس، قد برّره الله بالإيمان فقط، مقتبساً من العهد القديم هذه الآية: «كَمَا آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا».

وتابع الرسول بولس موضحاً فقال: «اعلموا إذا أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم». أي كما حسب إيمان إبراهيم له برّاً، هكذا يُحسب اليوم لكل من يؤمن بالمخلص المسيح، أنه يتبرر بالإيمان فقط، ولا علاقة للشريعة بهذا الأمر البتة. وبالتالي يغدو كل من يؤمن من بني إبراهيم.

ثم أضاف الرسول بولس قائلاً: «والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يُبرّر الأمم، سبق فبشّر إبراهيم أن «فيك تتبارك جميع الأمم». إن المقصود بالأمم هو كل الشعوب من غير بني إسرائيل. فلقد سبق لله أن خطط لكي يهب البر إلى كل الشعوب عن طريق الإيمان، ولهذا أعلن لإبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم. وكلمة فيك تعني بنسلك تتبارك، أي يهب الله البر لجميع الأمم. وكما أوضح الرسول بولس بعدئذ أن المقصود بنسل إبراهيم هو المخلص المسيح الذي تباركت به جميع الأمم. وهنا استنتج الرسول بولس قائلاً: «إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن». فكل من يؤمن سيتبارك كإبراهيم المؤمن.

ولكي يبرهن الرسول بولس على صحة كلامه، كتب قائلاً: «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: «ملعون كل من لا يتب في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس لي عمل به». إذن إن من يريد أن يتمسك في الناموس هو تحت لعنة، والسبب لأنه لا يستطيع أن يعمل بكل ما جاء به.

ثم أضاف الرسول بولس حجة أخرى فقال: «ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهراً، لأن «البار بالإيمان يحيا». ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل «الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها». إذن إن الناموس أو الشريعة لا تبرر الإنسان أمام الله، لأنها تقوم على الأعمال الصالحة، بينما الإيمان هو الذي يبرره.

وختم الرسول بولس براهينه عن بطلان التمسك بالشريعة أو الناموس فكتب قائلاً: «المسيح اقتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: «ملعون كل من علق على خشبة». سبق أن ذكر الرسول بولس أن جميع الذين يريدون أن يعملوا بالناموس هم تحت لعنة. لكن المسيح أتى ليفتدينا من هذه اللعنة.

لعلّ السؤال الآن هو: كيف افتدانا المسيح من لعنة الناموس؟ أجابنا الرسول بولس قائلاً: أن المسيح صار لعنة لأجلنا، وذلك عندما علّق على خشبة الصليب، وهكذا رفع عنا لعنة الناموس، وأيضاً أخذ دينونة خطايانا عوضاً عنا. مع العلم أنه سبق للشرعية نفسها أن دوّنت لنا: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». وهنا وصل الرسول بولس إلى هذه النتيجة الهامة: «لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَّمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالْإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ». إن بركة إبراهيم المؤمن تشمل كل المؤمنين بالمسيح من الأمم، وهذا كان قصد الله منذ البداية. والهدف لكي ينال كل من يؤمن موعد الروح القدس، إذ يسكن الروح القدس في قلبه.

مستمعي الكريم، لقد بدأ الرسول بولس معالجته لهذا الموضوع قائلاً: «اعْلَمُوا إِذَا أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْلَادُكُمْ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ». ثم بيّن بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة عن صحة ما بدأ به. أي أن أولاد أو أتباع إبراهيم هم فقط الذين يؤمنون بالمسيح المخلص. وهذا يؤكد أن أياً من أتباع الديانات الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلامية، إن لم يؤمن بالمسيح المخلص، لن يكون من أولاد إبراهيم أو من أتباعه. ولهذا نقول عن إبراهيم الخليل أنه أبو المؤمنين، أي أب لكل مؤمن حقيقي بالمسيح، وليس أباً لأتباع الديانات الثلاثة بشكل عام.

ألا تود مستمعي أن تصبح حقاً من أولاد إبراهيم؟ لم لا تؤمن الآن بالمسيح المخلص الذي مات على الصليب لكي يكفر عن خطاياك ويهبك الغفران الكامل عنها، وقام من بين الأموات لكي تنال الحياة الروحية الجديدة، وتصبح من أولاد الله، وتحظى بالحياة الأبدية؟